

قراءة نقدية فى كتاب موسم الهجرة لليمين

علي عوض علي - هولندا

اطلعت على كتاب موسم الهجرة لليمين للاستاذ صدقى كبلو والكتاب جهد فكري ونظري كرس كاتبه معظم فصوله لنقد افكار بعض الذين غادروا الحزب الشيوعى السودانى وتصدى وفى اصرار عنيد لايجاد التبريرات والدفعات لمسيرة الحزب الشيوعى طوال الخمسين عاما الماضية، ولان الكتاب والكاتب شغل خانة الدفاع انزلق الى جب المحافظة وتكريس كل ما هو قائم عبر نقد خجول واستخدم فى بعض الاحيان لغة غير موفقة - التصفيون الجدد - وهى لغة تبطن خلاف ما تظهر فهدفها النهائى ضرب ستار كثيف بين افكار المغادرين للحزب الشيوعى وفيها الجيد والصحيح وبين مجمل المتحاورين والذين قد تصل مناقشاتهم ومحاوراتهم الى اسقاط الكثير من المسلمات الماركسية بل اعتبار جل الماركسية مصدر من مصادر المعرفة الحزبية وليس الكل. وحتما ستتسجم المحاورة مع ما أثبتته العلم والمعارف وتلقى فى سلة المهملات ما تجاوزه الزمن والعلوم بل اصل المناقشة من اجل نظرية جديدة لحركة ثورية جديدة وبالضرورة برنامج جديد ودستور جديد يعنى حزب جديد سوى سمي الحزب الشيوعى او خلافه. وذهب الاستاذ كبلو الى الحديث عن وجود تيار تصفوى فى الحزب الشيوعى يستغل افتتاح المناقشة العامة حول قضايا العصر جهارا نهارا ليعبر ومن فوق منابر الحزب الشيوعى عن دعوة واضحة لتصفية الحزب الشيوعى وتكوين حزب غير شيوعى...!

المناقشة العامة وكما قلت سابقا ليست حول قضايا العصر بل من اجل نظرية جديدة لحركة ثورية جديدة والتعبير عنها بمصطلح قضايا العصر فيه محاولة لدغمستها واعتقد انها جاءت فى الوقت المناسب وبالقضية المناسبة، وما الاندهاشة فى وجود تيارات بل المدهش حقا أن لا يكون هناك تيارات واختلافات فى مناقشة حول قضايا حيوية ومصيرية ومن شيو عيين كل رأس مالهم فى هذه الحياة الفانية نضالهم واحترامهم لانفسهم وشعبهم.

ان التصفيون الجدد...! وما وصلوا اليه من اراء ومعارف كانت حصيلة تجربة طويلة خاضوها داخل الحزب الشيوعى السودانى خصبها بتضحيات جسام وعطاء دون من او ثمن لهذا ستظل آرائهم خصبة فى حركة المحاورة وجدل الافكار وكنت كغيرى اتمنى بقائهم داخل الحزب الشيوعى للدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم بما فيها حل الحزب الشيوعى ومن فوق منابر الحزب الشيوعى حتى تتجلى المناقشة العامة ثم يحددون بقائهم داخل ما أفضت اليه المناقشة العامة او الرحيل.

هناك كثير من القضايا التى تطرق اليها كاتب موسم الهجرة لليمين لدعم وجهة نظره وفى مجملها الصحيح الناقص فمثلا قضية الصراع الاجتماعى فى السودان قضية شغلت حيز كبير فى التأكيد السياسى السودانى وظلت محور صراع داخل الحزب الشيوعى السودانى لفترات مختلفة. ولقد انحاز الكاتب كقطاع عريض من الشيو عيين الى اعتبار الصراع الاجتماعى فى السودان صراع طبقي وكفى...! واضعا عصامة سوداء بين وعيه وتجليات الواقع الاجتماعى الذى يعج بصراع القوميات والشعوب المضطهده. ولهذا نجد ان الحزب الشيوعى ركز جل اولويات مهامه وجهده فى بناء النقابات وبصفة خاصة النقابات العمالية وتجاهل التواجد فى خضم حركة نضال القوميات والشعوب المهمشة والمضطهده بل عزل عضويته من ابناء هذه القوميات والشعوب عن تواجدهم الشرعى والثورى وسط هذا الزخم النضالى فمثلا مناضلا فذا مثل الشهيد جوزيف قرنق غير معروف لدى الكثيرين من شباب الجنوب الذين خاضوا معارك توريت وجوبا والجيكو والذين خاضوا غمار الحرب النضالية الاولى والثانية فى ادغال الجنوب، بل وحين سنحت فرصة للحزب الشيوعى عقب انقلاب مايو ٦٩ وتبنيها لفكرة الحكم الاقليمى الذاتى كرس جل جهده فى بناء النقابات فى الجنوب ولم يعر الحركات القومية المنظمة والمسلحة اهتماما - طبعا هذا من منطلق تبني فكرة أن قضية القوميات والشعوب المضطهده تحل أو توماتيكيا بحل قضية الصراع الاجتماعى..!

وتهنى جراً الشباب الذين التحقوا بالحركة الشعبية بعد صيف ١٩٨٦ أمثال ياسر عرمان وياسر جعفر والحبوب وبارعه وآخرين لخلق جسر للتواصل بين الحركة الثورية فى الشمال والحركة الثورية فى الجنوب وللتكامل بين النضال الطبقي والقومى وتقديم نموذج حى وعملى للجنوبى البسيط فى اكواخ رومبيك وياي ومريدى بان طبيعة الحرب الدائرة ليست حرب بين الشمال

والجنوب بل أنها حرب الطبقات والشعوب السودانية المضطهدة ضد مضطهديها فى الشمال وعاونهم من الجنوبيين.

ولقد أثبتت دورات عجلة الحياة فى بلادنا أن الصراع فى السودان صراع معقد ومتشعب ومتداخل بين الطبقي والقومى والدينى والثقافى وهذا واضح وجلى وضوح الشمس فى كبد السماء.

حول المركزية الديمقراطية:-

لقد انحاز الأستاذ كبلو لمبدأ المركزية الديمقراطية كمبدأ اساسى لتنظيم الحزب وعصب حياته الداخلية...! ولكنه عاد وفى خجل ليتساءل هل قضية تطور الديمقراطية داخل الحزب قد حلت...؟! و يحُمل عدم تطور هذه الديمقراطية لعوامل خارجية عن الحزب الشيوعى كقصر الفترة الديمقراطية الثالثة وأثار ١٦ عاما من السرية...! وتعامى عن رؤية التصادم التاريخى بين المركزية والديمقراطية.

ان تناول مبدأ المركزية الديمقراطية بالنقد يصيب المعجبين به بالهلع والتوتر فيندفعون لتقديم الدفوعات الميئة لحماية هذا المبدأ فيروجون أن سقوط المركزية يعنى بالضرورة تمزيق الحزب وتحويله لنادى للمناقشات، بل ويقدم الأستاذ كبلو قضية المركزية بصورة مخلة وقاصرة فيقول ص (٣٣) المسألة ببساطة هل يخضع الحزب لمركز واحد ام عدة مراكز...! كما أن كل هذه المناقشات النقدية لمبدأ المركزية الديمقراطية تهدف الى خلق اكثر من مركز داخل الحزب الشيوعى...! (ياراجل)..

وجود قيادة واحدة ومنتخبه من الاعضاء من البديهيات - أب ت ت فى اى تنظيم، تعرفها وتمارسها الناشئة من فرق التقدم فى أحياء السجانة والديوم الشرقية، وعندى المسألة اكبر من كده يا كبلو، المسألة يركز عليها تطوير حياة الحزب الداخلية والجماهيرية وحقوق الأعضاء فى المشاركة فى رسم السياسات واتخاذ القرارات والتواجد الدائم فى قلب حركة الحزب والاحداث فكم من القرارات المصرية والتي دفع ثمنها غالياً أعضاء الحزب القاعدين فى صبر وشجاعة كانت مركزية هواها...! المركزية غول يتصارع ليلتهم الديمقراطية فكم من مساحة شاسعة من الديمقراطية انطوت داخل الحزب الشيوعى السودانى امام تمدد المركزية وسيطرتها على مجمل حياة الحزب بل وحياة أعضائه.

ان الحديث عن المركزية ليست جدل فكرى حول هلاميات بل يتم من خلال تجربة عملية تمت ممارستها داخل الحزب الشيوعى السودانى وغيره من الاحزاب الشيوعية وهناك العديد من النماذج والشهادات النقدية التى يمكن أن يدلى بها فى شجاعة من مارسوا المركزية بصورتها المطلقة واعتقد أن كاتب موسم الهجرة لليمين كان أحد قادة الحركة الطلابية بجامعة الخرطوم ولامس عن قرب المركزية وممارساتها أن لم يكن قد شارك فيها.

وهنا تجول بخاطرى ذكريات الصبا واحلام الشباب بجامعة القاهرة بالخرطوم فلقد عايشت عن كثب ممارسات مكتب الطلبة المركزى لسلطاته المركزية اللامعقولة تحت شعار المحافظة على وحدة الحزب ومعاداة الانقسامات باجراءات إدارية وبوليسية كريمة. فلقد كان مكتب الطلبة والقيادات التى يفرضها على مجمل الشيوخيين متخلفة وغير مبدعة أمام حراك طلابى واسع وقضايا يومية ساخنة لا تقبل التأجيل لحين ظهور مسئول مكتب الطلبة المركزى والذى كان دائما من خارج المجال الطلابى وكذلك معظم اعضاء مكتبه فبرغم تخرجهم كانت الارادة المركزية تصر على بقائهم لشئى فى نفس يعقوب...! ولقد كان طبيعياً أن يفرخ هذا الحراك وهذا الزخم الطلابى قيادات تبحث عن الانعتاق والتطلع لبناء حركة طلابية قوية ولكن سيف المركزية البتار ظل يلاحقهم حتى دفع المنات للخروج من الحزب والجبهة الديمقراطية.

نموذج آخر عايشته بمجال الاشقاء يتكامل مع السابق ويؤكد ان العقلية المركزية واحدة وان تنوع استخداماتها ومجالاتها فى مجال الاشقاء قام مكتب الخارج والذى نصب من نفسه قيادة مركزية بعملية انقلابية كاملة تنقصها الدبابات والمدفعية لتغيير قيادة الفرع والمنتخبة ديمقراطياً عقاباً لها (لأنها لم تسمع الكلام...!) وذلك عن طريق دعوة اعضاء الفرع وبشكل شخصى وبعد توصيل من يرغب فى توصيلهم لاجتماع قام بتحديد زمانه ومكانه متخطياً قيادة الفرع بالمجال وقام باختيار قيادة جديدة غير مكترث لما سوف يترتب على هذا الاجراء والذى دفع بالعديد من الشيوخيين لمغادرة الحزب او تجميد نشاطهم ومن جرائم المركزية التى لن تغتفر اقتلاعها للشهيد قاسم امين من قلب

طبقتة العاملة وجماهيره وإرساله الى خارج البلاد دون السماح لاي جهة فى الحزب بالمناقشة او الاعتراض على هذا الإجراء القبيح...!(وبرضو تقول لى مركزية ديمقراطية يا كبلو...)

لقد تناول الزميل حسن تاج السر مبدأ المركزية الديمقراطية فى مجلة قضايا سودانية العدد السابع عشر بشفاافية عالية وتلمس مكامن خطيها وحاول قصصنة أجنحتها وسماها بالمركزية الديمقراطية الستالينية ولكن هل هناك مركزية غير ستالينية...؟ فى تقديرى الستالينية هى الابن الشرعى للمركزية وليس العكس.

حول اسم الحزب الشيوعى السودانى:-

يتساءل الاستاذ كبلو ص (٣٥) هل يعيق اسم الحزب تطوره فى السودان؟ ويجيب صحيح ان اسم الحزب الشيوعى قد خلق بعض المصاعب امام نموه فى السودان ولكنه تجاوزها فى صبر ومثابرة فاصبح مقبول كجزء من النسيج السياسى والاجتماعى فى السودان حتى اصبح من الممكن أن يكون لديه مرشح فى جبل مرة. واضح أن الكاتب مفعم بالرضى ولكنه تناول قضية اسم الحزب من زاوية قبول او رفض الناس له وفى تقديرى أن اسم اى الحزب يتحدد من خلال ما يبشر به وبرنامجه ودستوره والحزب الشيوعى السودانى ظل خلال نصف قرن من الزمان يبشر ويدعو للتحول الوطنى الديمقراطى عبر البرنامج الوطنى الديمقراطى وآلية الجبهة الوطنية الديمقراطية وكان من المفروض أن يرتبط اسمه بهذا البرنامج ويتغير وفق متغيرات البرنامج والمرحلة... ولكن يبدو ان زخم الاحزاب الشيوعية فى البلدان الاشتراكية ودعمها لحركات التحرر الوطنى والمساعدات القيمة التى قدمها الاتحاد السوفيتى للدول النامية وأيمان الصحابة بحتمية سقوط الرأسمالية وقيام المجتمع الشيوعى ألهب حماسة شيوعى الخمسينات فلم يترددوا فى تسمية حزبهم بالحزب الشيوعى السودانى....!

زبدة كتاب موسم الهجرة لليمين وفاكته تتركز فى الصفحات (٣٨-٤٤) وفيها عزف الكاتب على وتر مفهوم الطبقة وازاح الغبار عن العلاقة المعقدة بين العمل المركب والعمل البسيط وفند فى براعة الحجج التى تريد أن تطمس مظاهر الصراع الاجتماعى والذى يعد فائض القيمة المنتج بالدماغ او العضل اكبر تجلياته.

التقدير موصول للاستاذ صدقى كبلو وجهده وللتحالف الديمقراطى بالمملكة المتحدة سبق أن ارسلت هذه المحاولة لاسرة تحرير قضايا سودانية ولكنها لم تنشر

ali awad ali
holland-njimege